وصايا نبوية

الحمد لله رب العالمين الحمد لله الملك الحق المبين الحمد لله ذي القوة المتين نحمده حمد الفقراء إليه، هو ربنا الغني الحميد؛ ونشكر له شكر السائلين من فضله المزيد رضِي لنا الإسلام دينا، وبعث فينا سيد ولد آدم، إمام المصطفيْن الأخيار، صاحب الخلق العظيم، الذي تمم مكارم الأخلاق، فأخرجنا بإذنه من الظلمات إلى النور صلى الله عليه وعلى آله الأطهار وصحبه الأبرار وسلم تسليما كثيرا.

ثم أما بعد:

عباد الله: خطبة هذا اليوم عن وصايا عشر أوصى بها النبي صلى الله عليه وسلم أبا ذر رضي الله عنه، وهي وصية للأمة جمعاء، وصية لي ولك فأرع لها سمعك، ولنعش مع هذه الوصايا بقلوبنا وأعمالنا. فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: **قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي**

– قَالَ: أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا رَأْسُ أَمْرِكَ.

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي

– قَالَ: عَلَيْكَ بِتِلاوَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَكَ نُورٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَنورٌ فِي الأَرْضِ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي:

– قَالَ: لا تُكْثِرِ الضَّحِكِ فَإِنَّهُ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيُذْهِبُ نُورَ الْوَجْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي:

– قَالَ: عَلَيْكَ بِالْجِهَادِ فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ أُمَّتِي. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي:

– قَالَ: عَلَيْكَ بِالصَّمْتِ إِلا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّهُ مَرَدَّةٌ لِلشَّيْطَانِ عَنْكَ وَعَوْنٌ لَكَ عَلَى أَمْرِ دِينِكَ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي

– قَالَ: انْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ وَلا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لا تَزْدَرِي نِعْمَةَ اللَّهِ عِنْدَكَ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي

– قَالَ: صِلْ قَرَابَتَكَ وَإِنْ قَطَعُوكَ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي

– قَالَ: لا تَخَفْ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لائِمٍ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي

– قَالَ: تُحِبُّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى صَدْرِي،

– فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرّ لا عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ، وَلا وَرَعَ كَالْكَفِّ، وَلا حَسَبَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ. رواه الطبراني في مكارم الأخلاق.

لقد اشتملت هذه الوصية المباركة على عشر كلمات، كل منها وصية مضيئة تنير الطريق الموصل إلى رضى الله تعالى، نسأل الله الهداية والسداد.

الوصية الأولى: أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا رَأْسُ أَمْرِكَ: فقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا ذر رضي الله عنه، وجميع المؤمنين، بتقوى الله عز وجل، وكثيرا ما كان صلى الله عليه وسلم يوصي بها؛ ويأمر بها، يقول لأحدهم: عليك بتقوى الله، ولآخر: اتق الله لأنها كما قال صلى الله عليه وسلم: رأس الأمر وهي خير زاد، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾. وثمار التقوى كثيرة، فمنها كونها سببا للفلاح، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. وسببا للرحمة، قال سبحانه: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. وسببا للفرج وجلب الرزق، قال اللطيف الخبير: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾. وسبب اليسر: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾. والتقوى بها تكفَّر السيئات ويعظم الأجر، قال ربنا: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً﴾. وبها تحصل معية الله عز وجل ومحبته، وكفى بها مزية، قال جل ثناؤه: ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ

الْمُتَّقِينَ﴾. وقال: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾. وهي الوسيلة لقبول الأعمال، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾. وبها صلاح الأعمال ومغفرة الذنوب، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾. والتقوي سبيل النجاة، قال سبحانه: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. **ولقد وعد الله تعالى عباده المتقين المقام الأمين**، قال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾. وأعد لهم جنات الخلد، قال: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾. وقال: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾. وقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾. فاتقوا الله، عباد الله فإن التقوى رأس الأمر كله.

الوصية الثانية: عَلَيْكَ بِتِلاوَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَكَ نُورٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَنُورٌ فِي الأَرْضِ. عن عَبْد اللَّهِ بْن مَسْعُودٍ قالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ

وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ). رواه الترمذي.

حسنات يذخرها الله تعالى لعبده المؤمن الذي يرتل كلامه، يجدها عنده، يوم يجيئ القرآن فيقول: يَا رَبِّ حَلِّهِ فَيُلْبَسُ تَاجَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ فَيَرْضَى عَنْهُ؛ فَيُقَالُ لَهُ اقْرَأْ وَارْقَ وَتُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً قال النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم: (يُقَالُ لصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْقَ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا). رواه أبو داود.

الوصية الثالثة: لا تُكْثِرِ الضَّحِكِ؛ فَإِنَّهُ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيُذْهِبُ نُورَ الْوَجْهِ، فكثرة الضحك تميت القلب أي تصيره مغمورا في الظلمات بمنزلة الميت الذي لا ينفع نفسه بنافعة، ولا يدفع عنها شيئا من مكروه؛ وحياته وإشراقه مادة كل خير، وموته وظلمته مادة كل شر؛ وبحياته تكون قوته وسمعه وبصره وتصور المعلومات وحقائقها على ما هي عليه، **ولهذا قال لقمان لابنه:** يا بني لا تكثر الضحك من غير عجب، ولا تمشي من غير أرب، ولا تسأل عما لا يعنيك، ولا تضيع مالك وتصلح مال غيرك فإن مالك ما قدمت ومال غيرك ما أخرت.

الوصية الرابعة: عَلَيْكَ بِالْجِهَادِ فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ أُمَّتِي قال تعالى: {إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}.

الوصية الخامسة: قَالَ: عَلَيْكَ بِالصَّمْتِ إِلا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّهُ مَرَدَّةٌ لِلشَّيْطَانِ عَنْكَ وَعَوْنٌ لَكَ عَلَى أَمْرِ دِينِكَ، وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصمت، قولا وفعلا، فقد قال رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ). رواه البخاري.

وعَنْ سِمَاكٍ قَالَ: قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ: أَكُنْتَ تُجَالِسُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَكَانَ طَوِيلَ الصَّمْتِ، قَلِيلَ الضَّحِكِ، وَكَانَ أَصْحَابُهُ يَذْكُرُونَ عِنْدَهُ الشِّعْرَ وَأَشْيَاءَ مِنْ أُمُورِهِمْ فَيَضْحَكُونَ، وَرُبَّمَا تَبَسَّمَ وقال: "المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه".

قال الفُضيْل: هذا زمان احفظ لسانك، واخفِ مكانك، وعالج قلبك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر- وقال عمر للأحنف: يا أحنف، من كثر

ضحكه قلت هيبته، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شيء عرف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه.

الوصية السادسة: انْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ وَلا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لا تَزْدَرِي نِعْمَةَ اللَّهِ عليك، فقد وجهنا توجيها قويما إلى أهم أسباب الحياة السعيدة ألا وهو التغاضي عما في أيدي الأثرياء الذين يملكون ما لا نملك من حطام الدنيا الزائل؛ لأنه متى استغنى الفقير عنهم، ولو بهذا التغاضي، أراح نفسه، فلن يكون مهموما ولا محزونا، بل سيكون راضيا بما قسم الله له، وحسبه إن فعل هذا أنه سيكون من الأغنياء الحقيقيين المشار إليهم في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النفس). متفق عليه.

والعَرَض، هو المال؛ وقال صلى الله عليه وسلم: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ). رواه مسلم.

فمن الخير إذاً للمؤمن أن ينظر إلى من هو تحته، أي دونه وأقل منه مالاً ومتاعاً، لا أن ينظر إلى من هو فوقه، وذلك حتى لا يزدري نعمة الله، أي يحتقرها؛ وحتى يكون راضيا بما أعطاه الله تبارك وتعالى، قلَّ أو

كثُر، لأنه بهذا سيكون راضيا وشاكرا في نفس الوقت، ويكون أيضاً من المستغنين بالله الذين لا بدّ أن يغنيهم الله من فضله عمّن سواه.

** ** **

الخطبة الثانية

الحمد لله الرب الغفور، العفو الرؤوف الشكور، الذي وفق من شاء من عباده لتحصيل المكاسب والأجور، وجعل شغلهم بتحقيق الإيمان والعمل الصالح، يرجون تجارة لن تبور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أفضل آمر وأجل مأمور، اللهم صل وسلم وبارك على محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم البعث والنشور.

أما بعد: الوصية السابعة: صِلْ قَرَابَتَكَ وَإِنْ قَطَعُوكَ، قال تعالى: {وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ}.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن مجتمعون، فقال: (يا معشر المسلمين، اتقوا الله، وصلوا أرحامكم، فإنه ليس من ثواب أسرع من صلة رحم). رواه الطبراني.

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ). رواه مسلم.

الوصية الثامنة: لا تَخَفْ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لائِمٍ: أي لا تمتنع عن القيام بالحق للوم لائم كن صلبا في دينك إذا شرعت في إنكار منكر وأمر بمعروف، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

الوصية التاسعة: تُحِبُّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ هذا من الإيمان، قال النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ). متفق عليه.

والمراد أيضا أن يحب أن يحصل لأخيه نظير ما يحصل له، سواء كان في الأمور المحسوسة أو المعنوية، عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ سَأَلَ

رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ أَفْضَلِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: (أَفْضَلُ الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ لِلَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ، وَتُعْمِلَ لِسَانَكَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ) قَالَ: وَمَاذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (وَأَنْ تُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَتَكْرَهَ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ، وَأَنْ تَقُولَ خَيْرًا أَوْ تَصْمُتَ). رواه أحمد.

الوصية العاشرة: يَا أَبَا ذَرَّ لا عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ، وَلا وَرَعَ كَالْكَفِّ، وَلا حَسَبَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ. عن أنس قال: خدمتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي: "أف" قط، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته؟ وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقًا ولا مَسسْتُ خزًا ولا حريرًا ولا شيئًا كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا شَمَمْتُ مسكًا ولا عطرًا كان أطيب من عَرَق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا. رواه البخاري.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إِنَّ الْعَبْدَ لَيَبْلُغُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ. رواه أحمد.

هذه وصايا النبي صلى الله عليه وسلم فلعلنا نتخلق بها ونتمسك بها

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.